تحليل

العدد 221 / تشرين الأول/أكتوبر 2018

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies
ORSAM

الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق المعاصر

واثق السعدون

حقوق النشر والتأليف

ORSAM © 2018 أنقرة - تركيا / أورسام

حقوق طبع محتوى هذا المنشور هي حصرياً لأورسام ORSAM. باستثناء الاقتباسات المعقولة والجزئية، والتي يتم استخدامها بموجب قانون الأعمال الفكرية والفنية رقم 5846 ، عبر الاقتباس الصحيح ، لا يجوز استخدام محتوى هذا المنشور، أو إعادة طبعه ونشره بدون إذن مسبق من أورسام ORSAM. الآراء الواردة في هذا المنشور تعبر عن وجهة نظر مؤلف هذا المنشور، ولا تعبر عن الرأي الرسمي لأورسام ORSAM.

ISBN: 978-605-80419-2-9

Center for Middle Eastern Studies مركز دراسات الشرق الأوسط

العنوان: أنقرة/جنقايا/ محلة "مصطفى كمال"/زقاق 2128/ بناية رقم 3

هاتف: 09 26 430 (312) 90+

فاكس: 48 39 430 (312) 90+

مصدر الصور المنشورة: وكالة أسيوشتيد بريس Associated Press

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
ORSAM مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

تحليل

الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق المعاصر

بخصوص الكاتب

واثق السعدون

خبير دراسات العراق في مركز أورسام منذ 2018. باحث زائر في أورسام منذ 2015. أحد أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الموصل في العراق منذ عام 2008. باحث أقدم في مركز الدراسات الاقليمية بجامعة الموصل منذ عام 2008. قام بتدريس مادة (تاريخ العلاقات الدولية) لطلبة كلية العلوم السياسية بجامعة الموصل لسنوات عدة. حاصل على الماجستير في (التاريخ العسكري المعاصر) في عام 2000. ترقى من مرتبة (مدرس مساعد) الى مرتبة(مدرس) في عام 2012. تتركز اهتماماته البحثية على البعد الأمني في العلاقات الدولية والاستراتيجيات العسكرية. قام بتأليف كتاب (عوامل القوة وعوامل الضعف في العلاقات العراقية-التركية المعاصرة 2017) وكتاب (البعد الأمني في العلاقات العراقية-التركية المعاصرة 2014).ساهم بتأليف خمسة كتب مشتركة هي (العراق ودول الخليج العربي2013)،(دراسات في تاريخ القوقاز المعاصر2011)،(صناعة القرار في دول الخليج العربي 2010)،(التقرير الاستراتيجي لمركز الدراسات الاقليمية 2010)،(التقرير الاستراتيجي لمركز الدراسات الاقليمية 2012).له 25 بحث منشور في مجلات علمية عراقية وعربية وتركية. له أكثر من 40 مقالة علمية. ألقى محاضرات في أكثر من 30 مؤتمر علمي وندوة و ورشة عمل ودورات تدريبية داخل العراق وفي الدول العربية وفي تركيا. حصل في عام 2015 على زمالة بحثية من معهد التعليم الدولي في نيويورك.

تشرين الأول/أكتوبر 2018

المحتويات

المقدمة 3

1. تصنيف العشائر العربية في العراق وتوزيعها الجغرافي 3

2. أوضاع العشائر العربية في العراق قبل الغزو الأمريكي في نيسان 2003 4

3. الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق بعد الغزو الأمريكي في نيسان 2003 5

4. الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق في الإنتخابات النيابية 2018 15

الخاتمة 17

المقدمة:

لطالما كان للقبائل والعشائر العربية دوراً مهماً وتأثير في الأوضاع السياسية والإجتماعية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، فمنذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي ولغاية الحرب العالمية الأولى شكلت بعض التحالفات العشائرية ما يشبه الإمارات المستقلة، في البادية العراقية الممتدة من سفح جبل سنجار في غرب الموصل مروراً بغرب الفرات إلى غرب البصرة وشمال الجزيرة العربية. وكانت إمارات الصحراء تلك تفرض سطوتها على المدن وطرق المواصلات الرئيسة وهي منتشرة خارج تلك المدن في عمق البادية العراقية. إن العنصر الأساس لأهمية القبائل والعشائر وتأثيرها المستمر في المجتمع العراقي، وسر استمرار تنظيمها وهيكليتها طوال تاريخ العراق الحديث والمعاصر، هو ما تقدمه تلك العشائر من حماية لأفرادها ونصرتهم، اذا ما تعرضوا لاعتداء أو ظلم من أفراد أو جماعات ينتسبون لعشائر أخرى، وبخاصة في الفترات التي تضعف فيه سلطة الدولة ويصعب تطبيق القانون، فتصبح الأعراف العشائرية أقوى من القوانين وأكثر إلزاماً. لذلك نجد أن معظم العراقيين يحترمون الارتباطات العشائرية ويلتزمون بها، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والتعليمية، لأنهم يعدونها مصدر قوة لهم. وفي السياق ذاته، نجد أن جميع الأحزاب والتيارات السياسية التي عملت في الساحة العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، سواء التي أصبحت في السلطة أو خارجها، كانت تسعى لكسب ود الزعامات القبلية والعشائرية.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق المعاصر، وقسمت إلى أربعة محاور. المحور الأول في الدراسة والذي عد محوراً تمهيدياً تناول (تصنيف العشائر العربية في العراق وتوزيعها الجغرافي) وتضمن جدولاً يبين التوزيع الجغرافي للتجمعات الرئيسة للعشائر العربية في العراق. المحور الثاني للدراسة سلط الأضواء على (أوضاع العشائر العربية في العراق قبل الغزو الأمريكي في نيسان/أبريل 2003)، وبنفس السياق التاريخي للدراسة خصص المحور الثالث لمناقشة(أوضاع العشائر العربية في العراق بعد الغزو الأمريكي في نيسان/أبريل 2003. أما المحور الرابع والأخير الموسوم (الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق في الإنتخابات النيابية 2018) فقد تضمن بعض المؤشرات ورؤية واقعية عن دور وتأثير العشائر العربية في العراق في انتخابات أيار/مايو2018. وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم الإستنتاجات التي تم التوصل إليها.

1. تصنيف العشائر العربية في العراق وتوزيعها الجغرافي:

العشيرة هي مجموعة من الأفراد ينتمون إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة أفخاذ أو من عدة عوائل، وغالباً ما يسكن أفراد العشيرة إقليما مشتركاً يعدونه وطنا لهم، ويتحدثون بلهجة مميزة، ولهم ثقافة واحدة، والعشيرة هي المكون الرئيسي للقبيلة، فتحالف عدة عشائر تتكون القبيلة، وشرط العشيرة أن يتكون أفرادها من نسب واحد، بعكس القبيلة، فالقبيلة قد تتكون من عدة عشائر من أنساب واحدة أو من أنساب مختلفة الجد. وقبائل وعشائر العراق ذات أصول قحطانية وعدنانية* تنحدر من الجزيرة العربية. فالعراق وبلاد الشام امتدادان طبيعيان لجزيرة العرب. للعشائر العربية في العراق مواطن سكن تقليدية فيها ثقلها الرئيس، وهنالك عشائر أو أفخاذ من عشائر تسكن أرياف المحافظات العراقية المختلفة. ولا يعد سكن الشخص

أو الأشخاص في المحافظات لغرض العمل موطناً عشائرياً، بل ان التجمع السكاني في الريف هو المعيار لوجود أي قبيلة في العراق.

ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق تصنيف مشوه وغير صحيح للعشائر العربية في العراق، وشاع في الشأن العشائري استخدام مصطلحات مثل (عشائر العرب السنة) و(العشائر الشيعية). وهذه التقسيمات غير صحيحة لسببين، أولهما هو أن أغلب عشائر العراق العربية فيها فروع تتبع المذهب السني، تسكن في مناطق غرب وشمال العراق، وفروع أخرى تتبع المذهب الشيعي، تسكن في مناطق وسط وجنوب العراق. والسبب الآخر هو تسمية (العشائر الشيعية) فيها مآرب خفية، وهي تهدف الى طمس الهوية العربية عن هذه العشائر، واختزال هويتها بالمذهب الديني الذي تتبعه. أما التصنيف المتوارث منذ عقود، والذي درج العراقيون على استخدامه عند الحديث عن الشؤون العشائرية، بالرغم من انه غير دقيق من الناحية الجغرافية، فهو إطلاق تسمية (العشائر الغربية) على العشائر العربية في محافظات (الأنبار، صلاح الدين، كركوك، نينوى، ديالى). وإطلاق تسمية (عشائر الفرات الأوسط) على العشائر العربية في محافظات (بابل، كربلاء، النجف، المثنى، القادسية). وإطلاق تسمية (عشائر الجنوب) على العشائر العربية في محافظات (واسط، ميسان، ذي قار، البصرة).

لا تعد الألقاب المشتقة من أسماء المدن ألقاباً عشائرية، لأنها تدل على مكان سكن وليس النسب العشائري، ومن يحملون هذا النوع من الألقاب هم في الأصل ينتسبون إلى عشائر معينة، ومن هذه الألقاب في العراق:(البصري، الراوي، العاني، الهيتي، الكبيسي، الحديثي، السامرائي، التكريتي، الكركوكلي، العماري، الحلي، الواسطي، البغدادي، الفلوجي، الكاظمي، الأعظمي، الشيخلي،...الخ). كما لا تعد الألقاب المشتقة من أسماء المهن ألقاباً عشائرية، لأنها تدل على المهنة، وأيضاً من يحملون هذا النوع من الألقاب هم في الأصل ينتسبون إلى عشائر معينة، ومن هذه الألقاب في العراق:(الكاتب، القاضي، الجواهري، المدرس، البزاز، الحداد، النجار، القصاب، الجادرجي، المعمار، الخشاب، المختار، الصفار، الصائغ، الصواف، الفحام، المدفعي، الجلبي، القبانجي، الخطاط، الرسام، المعلم، الصانع، الرواف،...الخ).

**** جدول التوزيع الجغرافي للتجمعات الرئيسة للعشائر العربية في العراق**

سنلاحظ في الجدول الآتي:

1.احتوى الجدول على أكبر التجمعات السكانية أو الكتل البشرية التي تنتسب لعشيرة واحدة وتسكن في منطقة واحدة في كل محافظة، سواء كان هذا التجمع السكاني في قرى منفصلة أو في الأقضية والنواحي.

2.هنالك تكرار لأسماء بعض العشائر في عدة محافظات، فهنالك بعض العشائر الكبيرة بعدد أفرادها تحتوي على أفخاذ كثيرة، وكل مجموعة أفخاذ منها تسكن في محافظة معينة.

3.أضيفت فقرة اللقب الذي يطلق على الشخص الذي ينتمي لعشيرة معينة، حتى لا يحدث خلط بين الأسماء، فمثلاً الشخص الذي ينتسب لعشيرة (بني حسن) يلقب بـ(الحسني)، والشخص الذي ينتسب لعشيرة (آل حسن) يلقب بـ(الحسناوي)، والشخص الذي ينتسب لعشيرة (الحسينات) يلقب بـ(الحسيناوي).

التسلسل	المحافظة	العشائر
1	بغداد	لا تعد بغداد مكاناً عشائرياً لأية قبيلة أو عشيرة، وأنما هي مدينة جامعة لكل العراقيين، فكل القبائل والعشائر العراقية التي سيرد ذكرها في هذا الجدول لها وجود سكاني بحجم معين في بغداد، وحتى التجمعات العشائرية الموجودة في المناطق الزراعية في حزام بغداد (شمال بغداد وغربها وجنوبها) فهي أفخاذ من عشائر لها وجود رئيسي في محافظة عراقية أخرى.
2	نينوى (مركزها مدينة الموصل)	(1) العگيدات/ اللقب: العگيدي (2) النعيم/ اللقب: النعيمي (3) قبيلة شمر/ اللقب: الشمري، علماً أن قبيلة شمر تشمل عشائر كثيرة منتشرة في عموم محافظات العراق، مثل (الجربا، الصايح، الصكوك، الأسلم، العوادل، زوبع، الغرير، الأكرع، البوغانم، المسعود، السعيدات، جشعم، خزرج، الجعفر). (4) العبيد/ اللقب: العبيدي (5) البوحمدان/ اللقب: الحمداني (6) طي/ اللقب: الطائي (7) زبيد/ اللقب: الزبيدي، علماً ان قبيلة زبيد تشمل عشائر كثيرة منتشرة في عموم محافظات العراق، مثل (البوسلطان/ اللقب: السلطاني، الكلابيين/ اللقب: الكلابي، البومتيوت/ اللقب: المتيوتي، الجحيش/ اللقب: الجحيشي،..الخ). (8) عبادة/ اللقب: العبادي (9) الحديديين/ اللقب: الحديدي (10) الجبور/ اللقب: الجبوري (11) البدران/ اللقب: البدراني (12) اللهيب/ اللقب: اللهيبي (13) اللويزات/ اللقب: اللويزي (14) بني خالد/ اللقب: الخالدي (ومنهم عائلة النجيفي في الموصل) (15) السبعاويين/ اللقب: السبعاوي (16) البگارة/ اللقب:البجاري (17) الجريسات/ اللقب: الجريسي

3	الأنبار (مركزها مدينة الرمادي)	(1) قبيلة الدليم/ اللقب: الدليمي، وتشمل قبيلة الدليم عشائر كثيرة، مثل (البوفراج/ اللقب: الفراجي، البوبالي/ اللقب: البيلاوي، البوهايس/ اللقب: الهايس، البوعساف/ اللقب: العسافي، البوريشة/ اللقب: الريشاوي، البوفهد/ اللقب: الفهداوي، البوچليب/ اللقب: الچلیباوي، المحامدة/ اللقب: المحمدي، البوعلوان/ اللقب: العلواني، البوعيسى/ اللقب: العيساوي، الفلاحات/ اللقب: الفلاحي، البوسودة/ اللقب: السويداوي، البونمر/ اللقب: النمراوي، الكرابلة/ اللقب: الكربولي، الحلابسة/ اللقب: الحلبوسي) (2) شمر (3) العبيد (4) عنزة/ اللقب: العنزي (5) الجنابيين/ اللقب: الجنابي (6) البوحمدان (7) بني زيد/ اللقب: الزيدي (8) زبيد (9) الجبور (10) جميلة/ اللقب: الجميلي
4	صلاح الدين (مركزها مدينة تكريت)	(1) شمر (2) طي (3) العزة/ اللقب: العزاوي (4) بني تميم/ اللقب: التميمي (5) البوعامر/ اللقب: العامري (6) الجبور (7) بني قيس (القيسية أو بالعامية –الجيسات-)/ اللقب: القيسي، علماً ان قبيلة بني قيس تشمل عشائر كثيرة منتشرة في عموم محافظات العراق، مثل (الداينية/ اللقب: الداينی، الزهيرية/ اللقب: الزهيري، الكروية/ اللقب: الكروي،..الخ). (8) الحديديين (9) المشاهدة/ اللقب: المشهداني (10) جميلة (11) المجمع/ اللقب: المجمعي (12) حرب/ اللقب: الحربي

5	كركوك	(1) النعيم (2) شمر (3) العبيد (4) الحديديين (5) الجبور (6) البومفرج/ اللقب: المفرجي (7) طي (8) البوحمدان (9) جميلة (10) القيسيين (11) عبادة (12) البگارة (13) السبعاويين
6	ديالى (مركزها مدينة بعقوبة)	(1) شمر (2) بني تميم (3) البوعامر (4) الباوية/ اللقب: الباوي (5) الدهلكية/ اللقب: الدهلكي (6) المجمع (7) العنبكية/ اللقب: العنبكي (8) الدفافعة/ اللقب: الدفاعي (9) المهداوية/ اللقب: المهداوي (10) بني سعد/ اللقب: السعدي (11) الدلفية/ اللقب: الدلفي (12) بني زيد (13) العزة (14) الدليم (15) الجبور (16) بني قيس –القيسية- و فروعهم في ديالى (الداينية، الزهيرية، الكروية) (17) الندا/ اللقب: النداوي

7	بابل (مركزها مدينة الحلة)	(1) ربيعة/ اللقب: الربيعي (2) زبيد (3) آل فتلة/ اللقب: الفتلاوي (4) آل شبل/ اللقب: الشبلي (5) المعامرة / اللقب: المعموري (6) الدليم (7) الجبور (8) العبيد (9) الجنابيين (10) البوحمدان (11) طي (12) خفاجة/ اللقب: الخفاجي
8	كربلاء	(1) بني مالك/ اللقب: المالكي (2) عنزة (3) بني أسد/ اللقب: الأسدي (4) شمر (5) البوعامر (6) آل حسن/ اللقب: الحسناوي (7) خفاجة (8) السهلان/ اللقب: السهلاني (9) الطفيل/ اللقب: الطفيلي (10) البوشعبان/ اللقب: الشعباني (11) بني سعد (12) البوعيسى (13) الكراكشة/ اللقب: الكركوشي

9	النجف	(1) آل فتلة (2) بني حسن/ اللقب: الحسني (3) الميال/ اللقب: الميالي (4) بني أسد (5) شمر (6) آل الخالصيين/ اللقب: الخالصي (7) آل خويلد/ اللقب: الخويلدي (8) بني خالد (9) البوعامر (10) زبيد (11) الطفيل (12) السهلان (13) آل ياسر/ اللقب: الياسري (14) آل الشرع/ اللقب: الشرع (15) البوخميس/ اللقب: الخميساوي (16) آل منصور/ اللقب: المنصوري
10	القادسية (مركزها مدينة الديوانية)	(1) زبيد (2) الخزاعل/ اللقب: الخزعلي (3) بني حسن (4) الجبور (5) الميال (6) بني أسد (7) شمر (8) آل بدير/ اللقب: البديري (9) آل شبل (10) بني كعب/ اللقب: الكعبي (11) آل فتلة (12) خفاجة (13) حچام/ اللقب: الحچامي (14) الرفيع/ اللقب: الرفيعي (15) آل ياسر (16) الزوامل/ اللقب: الزاملي (17) المگوطر/ اللقب: المگوطر (18) تميم (19) بني خالد (20) آل زياد/ اللقب: الزيادي

11	المثنى (مركزها مدينة السماوة)	(1) بني حچيم/ اللقب: الحچيمي وتشمل العشائر التالية: (آل محسن/ اللقب: المحسن ، آل غانم/ اللقب: الغانمي، الصفران/ اللقب: الصفراني، البركات/ اللقب: البركات ، عطاوة/ اللقب: العطواني، مطوق/ اللقب: المطوق، آل عبس/ اللقب: العبسي، الجوابر/ اللقب: الجابري، آل توبة/ اللقب: آل توبة، آل فرطوس/ اللقب: الفرطوسي، الظوالم/ اللقب: الظالمي، البوحسان/ اللقب: الحساني، البوجياش/ اللقب: الجياشي، آل زياد/ اللقب: الزيادي، الأعاجيب/ اللقب: الأعاجيبي) (2) بني أسد (3) شمر (4) الزرگان/ اللقب: الزرگاني (5) البوهليل/ اللقب: البوهليل
12	واسط (مركزها مدينة الكوت)	(1) ربيعة (2) زبيد (3) السعدون (وهي عائلة هاشمية أصلها من الحجاز وكانوا أمراء تحالف عشائري كبير في جنوب العراق يسمى تحالف المنتفق)/ اللقب: السعدون (4) المياح/ اللقب: المياحي (5) شمر (6) بني عتبة/ اللقب: العتابي (7) بني عقبة/ اللقب: العقابي (8) طي (9) المگاصيص/ اللقب: المگصوصي (10) الزرگان (11) البوصياد/ اللقب: الصيادي (12) السراي/ اللقب: السراي (13) الحلاف / اللقب: الحلفي (14) الشريفات/ اللقب: الشريفي (15) العايد/ اللقب: العايدي (16) الزهيرية (17) آل ياسر (18) آل زوين/ اللقب: الزويني (19) العابد/ اللقب: العابدي (20) بني لام/ اللقب: اللامي (21) بني كعب (22) المعامرة (23) قريش/ اللقب: القريشي

13	ميسان (مركزها مدينة العمارة)	(1) البيضان/ اللقب: البيضاني (2) السودان/ اللقب: السوداني (3) الفريجات/ اللقب: الفريجي (4) بني كعب (5) السواعد/ اللقب: الساعدي (6) البودراج/ اللقب: الدراجي (7) المگاصيص (8) قريش (9) كنانة/ اللقب: الكناني (10) البومحمد/ اللقب: المحمداوي (11) العبودة/ اللقب: العبودي (12) بني مالك (13) آل بزون/ اللقب: البزوني (14) آل إزيرج/ اللقب: الازيرجاوي (15) بني زيد (16) الشويلات/ اللقب: الشويلي (17) النوافل/ اللقب: النوفلي (18) السويعديين/ اللقب: السويعدي (19) البوبخيت/ اللقب: البخيتاوي (20) الحلاف (21) عبادة (22) العذاريين/ اللقب: العذاري (23) آل السهلان (24) العلاق/ اللقب: العلاق (25) بني لام (26) البهادل/ اللقب: البهادلي
14	ذي قار (مركزها مدينة الناصرية)	(1) بني أسد (2) آل إزيرج (3) بني زيد (4) عبادة (5) العبودة (6) بني هلال/ اللقب: الهلالي (7) بني ركاب/ اللقب: الركابي (8) السعدون (9) الرفيعات (10) الجوارين/ اللقب: الجوراني (11) البدور/ اللقب: البدري (12) خفاجة

		(15) آل ياسر (16) المياح (17) الحسينات/ اللقب: الحسيناوي (18) الزرگان (19) البعيج/ اللقب: البعيجي (20) البوشامة/ اللقب: الشامي (13) بني سعيد/ اللقب: السعيدي (14) آل حسن
15	البصرة	(1) السعدون (2) بني أسد (3) بني مالك (4) آل إزيرج (5) شمر (جشعم) / اللقب: الجشعمي (6) بني تميم (7) عبادة (8) آل بزون (9) الجبور (10) المياح (11) الحلاف (12) الحمادنة/ اللقب: الحمداني (13) الگرامشة/ اللقب: الگرمشي (14) بني وائل/ اللقب: الوائلي (15) الشريفات (16) بني خالد (17) بني منصور/ اللقب: المنصوري (18) آل سعد/ اللقب: السعد (19) ربيعة/ اللقب: الإمارة (20) الصرايفيين/ اللقب: الصرايفي (21) بني سكين/ اللقب: السكيني (22) بني سالة/ اللقب: السيلاوي (23) الحجاج/ اللقب: الحجاج (24) البهادل/ اللقب: البهادلي (25) أولاد عامر/ اللقب: العامري (26) الفريجات (27) البوسليم/ اللقب: البوسليمي (28) الشرامخة/ اللقب: الشرامخة

2. أوضاع العشائر العربية في العراق قبل الغزو الأمريكي في نيسان 2003:

إن العشائر العربية، بوصفها من أهم المؤسسات الاجتماعية التقليدية في العراق، قد أدت دوراً بارزاً في الحياة السياسية العراقية، منذ تأسيس دولته إلى يومنا هذا. وتراوح دورها بين الظهور والغياب، بحسب طبيعة الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، والتي كانت أكثريتها علمانية من حيث الشكل، حتى عام 2003. فالسلطة السياسية وضعت في اعتبارها عناصر القوة التي تتمتع بها مؤسسة القبيلة والعشيرة في المجتمع العراقي، لاسيما السلطة الأبوية التي يمارسها زعيم القبيلة وشيخ العشيرة على أتباعهما. والعشائر في العراق تسلح أفرادها بأسلحة خفيفة ومتوسطة، باعتبارها أهم مظاهر القوة، ولا يمكن أن تستغني عن أسلحتها[1].

إن المجتمع العراقي يستند في الكثير من سلوكياته إلى قيم العشيرة وهذا ما دفع سلطات الاحتلال البريطاني إلى إصدار قانون (دعاوى العشائر) في سنة 1918، أي قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة في سنة 1921، وبهذا كانت الدولة العراقية تحكم بقانونين، هما قانون الدولة العام، وقانون (دعاوى العشائر) الذي أصدرته سلطات الاحتلال البريطاني عام 1918، وظل سارياً طوال العهد الملكي، رديفاً للقانون العام، فكان للحاكم السياسي أو القاضي أن يحيل المتهم إلى مجلس عشائري يتألف من شيوخ للنظر في قضيته، فكانت الدولة العراقية هي الوحيدة التي تسير وفق قانونين. لقد سمح البريطانيون للعشائر بحمل السلاح والاحتفاظ بمحاكمها ونظامها القضائي الخاص بها، لأن بريطانيا كانت تهدف من وراء سياستها تلك للاستعانة بالعشائر في مواجهة الملك، أي بمعنى إنها كانت تسعى فقط لإحداث التوازن مع سلطة الملك. ولم تكن لتسمح أن يتزايد نفوذ قبيلة ما بشكل يهدد تلك المعادلة؛ ولم تتوانَ قوات الاحتلال البريطاني عن تأديب من يتجاوز الحدود عبر قصف قبيلته وإرغامها على الخضوع لسلطة الملك.[2] ثم عمد النظام الملكي، وبمشورة بريطانية، إلى استمالة شيوخ العشائر بالمال والمناصب والجاه، ليجعل عددا كبيرا منهم نواباً في مجلس الأعيان. وكان مجلس الأعيان الذي تشكل في العام 1925 نسخة عراقية لمجلس اللوردات في بريطانيا. وكان القصد منه منح الإقطاعيين من شيوخ القبائل ووجهاء وشخصيات مدنية مهمة أخرى دورا في صناعة القرار. هذه الإستراتيجية نجحت تماما في إخماد حركات تمرد العشائر العربية في جنوب ووسط وغرب العراق[3].

وعلى الرغم من إلغاء قانون دعاوى العشائر ومجلس الأعيان بعد سقوط النظام الملكي في 1958، واعتماد حكومة النظام الجمهوري برنامج تحديث المجتمع وفق مبادئ مدنية، إلا أن عملية التحديث هذه انقطعت وذلك بسبب تأثيرات موجات الهجرة في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي من الريف إلى المدن الكبرى التي أدت إلى انتشار قيم الريف والعشيرة في المدن (متمثلة بالعصبية القبلية ونوازعها، ووجود الجماعات غير المتعلمة وما يرتبط بسلوكها ونشاطها الاقتصادي من قيم غير مدنية)، وبذلك فأن عملية التحضر في العراق تحولت من عملية تمدين الريف وتحضيره، إلى عملية ترييف المدينة.

لم تغب العشيرة عن دورها المؤثر، إلا في حقبة السبعينيات، عندما حثَّ العراق، كدولة، خطاه باتجاه استكمال مستلزمات التحول إلى المدنية والعصرنة، بالاعتماد على المنظومة العلمانية، لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي لم يفسح المجال لأي سلطة أخرى في منافسته، أو الاقتراب من خطوط نفوذه. ففي سبعينيات القرن الماضي اتخذت الحكومة العراقية آنذاك قرارا يمنع المواطنين الإفصاح عن ألقابهم أو التداول بها في خطوة كان من المعتقد إنها ستساهم في انحسار تأثير الانتماء العشائري على ولاء المواطن العراقي. ولكن الأمر تغير نوعاً ما بدخول العراق إلى حرب طاحنة مع إيران في آب/ أغسطس 1980، فوظفت السلطة السياسية القبيلة والعشيرة في رص الصفوف الداخلية، والإسهام بالجهد العسكري، مستدعية عناصر الذاكرة التاريخية العربية في مواجهة المد الخارجي. هنالك حقائق تشير إلى اشتراك بعض العشائر في التمرد الذي حصل في الجنوب ضد النظام في ربيع عام 1991، بعد حرب الخليج الثانية (آب/ أغسطس 1990– آذار/مارس1991) التي أعقبت دخول الجيش العراقي إلى الكويت، الأمر الذي دق ناقوس الخطر في ذلك الوقت، وأعاد للعشيرة دورها البارز في الحياة السياسية، ليس في صنع القرار المباشر، ولكن في مدى قربها من السلطة السياسية، وزج أبنائها في المنظومة الأمنية في مختلف تشكيلاتها التي دعمت النظام في هذه المرحلة.[4]

لقد قادت الأوضاع التي نشأت بعد (الحرب العراقية – الإيرانية) وحرب الخليج الثانية في 1991، إلى حالة واضحة من الضعف في أركان مؤسسات النظام السابق مما دفعه إلى اللجوء إلى التنظيم العشائري لفرض سيطرته على المجتمع المنهك، فنمت مظاهر وأشكال التنظيم العشائري، لتملأ فراغ المجتمع المدني المغيّب، وعادت العشائر لتكسب قوتها ونفوذها من جديد ليس بسبب ضعف الدولة فحسب، بل لأن الدولة شجعتها، فقامت بملء فراغ الدولة من خلال توفير الحماية لأفرادها وتولي مهمة القضاء القائم على الأعراف، وهكذا عادت العشائر لتنمو من جديد في عقد التسعينيات، بأعقاب استعانة النظام السابق بسلطة شيخ العشيرة، بعد ان شعرت السلطة بحاجتها إلى العشائر لتساندها في مهمة ضبط الأمن، واستعانت بالقوى التاريخية المتمثلة بالعشيرة كقوة ضبط بدائية تعزز أداة الضبط الحديثة المتمثلة بسلطة الدولة. وبذلك ظهر ما يسمى (شيوخ التسعينات) وهي زعامات عشائرية لم تكن معروفة على الساحة الاجتماعية ولكنها استمدت شرعيتها من السلطة الحاكمة آنذاك التي عمدت إلى تفتيت العشائر الكبيرة وتقسيمها وتنصيب شيوخ وزعماء عشائر جدد موالين لها وربطهم بأجهزة السلطة[5].

3. الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق بعد الغزو الأمريكي في نيسان 2003:

ما إن سقط نظام صدام حسين حتى تبدلت مكانة شيوخ العشائر الذين كانوا مقربين منه، فالعديد من شيوخ العشائر الذين كانوا

يتمتعون بالنفوذ والقوة تم اعتقالهم من القوات الأمريكية أو حليفتها في جنوب العراق القوات البريطانية، كما تم اغتيال قسم منهم من قبل فرق الموت والميليشيات التي انتشرت في العراق بعد الغزو الأمريكي. لم تكن بدايات عراق ما بعد صدام تنبئ باستعادة القبيلة لدورها السياسي في ظل تهميش بغداد لشيوخ القبائل. وعلى الرغم من سعي أولئك الشيوخ لتعظيم أدوارهم عبر تشكيل جمعيات واتحادات وهيئات أشاعوا أن أعضاؤها بلغوا الآلاف؛ إلا أن استعانة السلطة السياسية بقيادات العشائر كانت تمثل الاستثناء وليس القاعدة مثل اختيار المهندس غازي الياور(عمه شيخ عشيرة شمّر الجربا) أول رئيس للعراق بعد الغزو الأمريكي، وتسمية الاقتصادي عدنان الجنابي(شيخ عموم عشيرة الجنابيين) وزير دولة في أول حكومة بعد عام 2003. لكن كليهما لم يتمتع بصلاحيات حقيقية؛ بل إن الأخير استقال في كانون الأول/ديسمبر 2005 احتجاجاً على اعتقاله من قبل القوات الأمريكية.[6]

استطاعت بعض من الزعامات العشائرية في مناطق الجنوب والفرات الأوسط أن تستعيد مكانتها في الأعوام الأولى للاحتلال الأمريكي، من خلال التخادم مع الأحزاب والتيارات الدينية السياسية التي هيمنت على الساحة السياسية في العراق بعد الغزو والإحتلال الأمريكي، فمن جهة كانت تلك الزعامات بحاجة لدعم تلك الأحزاب والتيارات لاستعادة نفوذها التقليدي، ومن جهة أخرى كانت الأحزاب الدينية السياسية بحاجة لدعم الزعامات العشائرية لتوسيع قواعدها الشعبية التي كانت تفتقر لها في بداية الإحتلال الأمريكي. فوجد زعماء ووجهاء قبليون من مناطق الجنوب والفرات الأوسط طريقهم إلى مجلس النواب، وحصل بعضهم على مناصب وزارية، إلا أن تسمية هؤلاء جاءت دائما من خلال بوابة الأحزاب الدينية التي احتوتهم، وإن كانوا قد اعتمدوا على أصوات قبائلهم في مناطق انتشارها إلى حد كبير في الحصول على مقاعدهم النيابية. كما اعتمدت القيادة الأمريكية العسكرية في العراق أواخر العام 2006 على مبدأ استمالة العشائر في مناطق غرب العراق للتصدي لتنظيم القاعدة الإرهابي، الذي وجد في مناطقهم حاضنة له، وعمدت إلى استحداث تنظيمين مسلحين من خلال تسليح عشائر محافظة الأنبار ومدها بالمال بشكل شهري منتظم، وهما تنظيمي (صحوة العراق) و(مجالس الأنقاذ)، تنظيم صحوة العراق سمي فيما بعد بـ(أبناء العراق). ونجح هذان التنظيمان العشائريان في القضاء على تنظيم القاعدة في مناطق محافظة الأنبار، وكان لزاماً على الحكومة العراقية أن تضم عناصر هذه التنظيمات العشائرية إلى الجيش العراقي، ولكن هذا الأمر اصطدم بعقبات عدة، ولم يتم تفعيله، وأصبح له فيما بعد عواقب سلبية على الأوضاع في غرب العراق.[7]

وتماشياً مع فكرة الصحوات ومجالس الإنقاذ، وفي ظل ضعف أجهزة الدولة الأمنية وعدم قدرتها على ضبط الأمن وتزايد العمليات الإرهابية والجريمة المنظمة، لجأت الحكومة إلى العشائر للحصول على دعمها في ضبط الأمن من خلال تشكيل (مجالس الإسناد) العشائرية منذ سنة 2008 حتى وصل عدد مجالس الإسناد في سنة 2010 إلى (242) مجلسا تضم ما يقارب (6480) من شيوخ ووجهاء العشائر العراقية، وشملت مجالس الإسناد جميع مناطق العراق من الشمال إلى الجنوب، ولم تقتصر على المناطق الغربية أو المناطق التي تنشط فيها المجاميع الإرهابية، وإنما شملت حتى بعض مناطق الجنوب والفرات الأوسط، وقد دعم رئيس الوزراء وقتها نوري المالكي وحزبه (الدعوة) هذه الخطوة بقوة، سياسياً ومالياً. كما لجأت العديد من العشائر الى تنظيم مؤتمرات وتجمعات عشائرية ضخمة في محاولة لإعادة تنظيم أفرادها وإظهار حجم قوتها الاجتماعية والسياسية، وبتأييد ودعم من شخصيات سياسية رفيعة، مما دفع الكثير من الأفراد العاملين في مؤسسات الدولة إلى إضافة ألقابهم العشائرية إلى أسمائهم كدلالة واضحة على تنامي الشعور بالولاء للعشيرة لدى الفرد العراقي[8].

لقد أثار تشكيل مجالس الإسناد العشائرية من قبل رئيس الوزراء نوري المالكي في المناطق التي تعد آمنة نسبياً في وسط وجنوب العراق تحفظات لدى الجهات السياسية الشيعية من غير حزب الدعوة، هم لم يعترضوا على تشكيلها في المناطق الغربية وأيدوها، ولكنهم تسائلوا عن الغايات والأهداف الحقيقية لهذه الخطوة، وماهي الأدوار التي ستقوم بها هذه المجالس العشائرية في مناطق وسط وجنوب العراق، التي عدت بعض الجهات السياسية الشيعية هذه المجالس واجهة من واجهات حزب الدعوة، أو على الأقل أنها ستؤيد رئيس الوزراء ومن ورائه حزب الدعوة، خصوصا أن حكومة المالكي قدمت الكثير من الأموال والهدايا لرؤساء العشائر. وقد عارضت وقتها تشكيل مجالس الإسناد العشائرية في وسط وجنوب العراق كل من الحكومات المحلية في محافظات واسط وميسان وذي قار التي كانت تتبع حزب (المجلس الإسلامي الإعلى)، كما عارض التيار الصدري هذه الخطوة بشدة، ووصفها بأنها توظيفاً لموارد الدولة وأموالها لكسب تأييد العشائر وأصواتهم الإنتخابية لصالح المالكي وحزب الدعوة الذي ينتمي إليه. في بداية العام 2015 قرر رئيس الوزراء حيدر العبادي ألغاء مجالس الاسناد العشائرية في المحافظات الجنوبية والوسطى لعدم الحاجة اليها في حفظ الملف الأمني في ذلك الوقت وبسبب الازمة المالية التي مر بها العراق نتيجة الحرب على داعش وانخفاض أسعار النفط.

باشتداد التنافس بين الأحزاب السياسية على كسب ود العشائر وأصواتهم الانتخابية، قدم النظام السياسي الجديد في العراق للعشائر العراقية فرصة تاريخية في المشاركة السياسية، بشكل مباشر، فزجت هذه العشائر بأبنائها وشخصياتها في أحزاب سياسية كثيرة، فتمكنت وللمرة الأولى أن تصل إلى مصدر القرار، كوزراء ووكلاء وبرلمانيات وموظفين رفيعي المستوى. وأصبحت العشيرة تؤدي دوراً أساسياً في العملية السياسية، بحيث لم يعد بإمكان غالبية المرشحين أن يفكروا بالوصول إلى السلطة، من دون الحصول على دعم مباشر من عشائرهم. صارت العشيرة والمال أهم عنصرين في معادلة السلطة في العراق الجديد[9].

4. الأدوار السياسية للعشائر العربية في العراق في الإنتخابات النيابية 2018:

تنافست الأحزاب العراقية قبل الانتخابات البرلمانية في أيار/ مايو 2018، في حملات انتخابية مبكرة تم خلالها التركيز على شيوخ العشائر العراقية والزعامات القبلية، الذين يمتلكون عدداً كبيراً من الأصوات بحكم سيطرتهم على توجهات أفراد عشائرهم. هذا الأمر حول أخيراً دواوين ومضافات العشائر إلى ما يشبه منابر مبكرة للسياسيين ورؤساء الأحزاب. إلا أن اللافت فيها أنها تستقبل مرشحي الأحزاب من أي اتجاه كان، المتناحرة بينها أو المتوافقة. وعادة ما يدخل المرشح أو السياسي بالهدايا والهبات لزعيم القبيلة أو صاحب الوجاهة والمضيف. وكان الصراع السياسي على كسب المنظومة العشائرية خلال تلك الانتخابات شرساً جداً، خصوصاً في الجنوب العراقي، بسبب تشرذم أحزاب وكتل التحالف الوطني الشيعي التي تتنافس على كسب الشارع الشيعي جنوب العراق، بينما كان الصراع على كسب العشائر في بغداد أقل بسبب طبيعة مجتمعها المدني. لكن هذا الأمر امتد إلى مدن شمال وغرب العراق، فأصبحت دواوين العشائر في تلك المناطق خلال موسم تلك الانتخابات قبلة للأحزاب الدينية أو المدنية على حد سواء.

وصرح عضو بارز في البرلمان العراقي السابق، لصحيفة (العربي الجديد)، إن أغلب الأحزاب كانت متشككة من حصولها على مباركة المراجع الدينية في النجف وكربلاء، كما أن دخول (الحشد الشعبي) بقائمة انتخابية منفصلة (قائمة الفتح) حرم الكثير من الأحزاب من توظيفه في حملتها الانتخابية. لذلك وجدت الكثير من الأحزاب ان الحل هو في المسارعة الى كسب العشائر. ويضيف العضو البرلماني: (إن أغلب السياسيين قاموا بزيارات للعشائر خلال الحملات الانتخابية مع هدايا وهبات، ووصل الحال ببعض المسؤولين في الحكومة لتقديم هبات نوعية، كقطع أرض وتعيينات لشخصيات محسوبة على هذا الشيخ أو ذاك، وبعضهم أهدى مسدسات كما الحال مع نائب رئيس الجمهورية رئيس الوزراء السابق، نوري المالكي، مع شيوخ عشائر في بابل وكربلاء والبصرة)، لافتاً إلى أن (معضلة تحريك النعرة القبلية في كل انتخابات تهدد بناء دولة مدنية حديثة، كما هو الحال نفسه في التجييش الطائفي عند الانتخابات)[10].

ويضيف العضو في البرلمان(هناك عشائر مختلطة، فيها سنة وشيعة، مثل شمر والقيسيين وربيعة وخفاجة والقرشي وغيرها، والسياسي لا يميز ذلك، لذا يمكن اعتبار الأمر مهدداً لوحدة العشائر نفسها، كون كثير من السياسيين يدخلون مضافة العشيرة بنفس طائفي) ويتابع :(هناك صفقات تمت على أساس اشتراط العشائر تقديم أبنائها كمرشحين في الانتخابات قبل عقد أي اتفاق سياسي)، مبيناً أن (بعض مضافات الشيوخ التي كانت تستخدم لإكرام الضيوف تحولت إلى منابر للدعاية الانتخابية، مؤكداً أن الصراع نحو شيوخ العشائر كان محموماً خلال الحملات الانتخابية)[11].

في استطلاع للرأي في محافظة ميسان جنوب العراق قام به موقع (أرفع صوتك) التابع لقناة الحرة الأمريكية قبل الانتخابات، رأى حكيم العبودي مدير مكتب حزب (المؤتمر الوطني) في محافظة ميسان، بأنه (ما زالت الاعتبارات العشائرية حاضرة وبقوة في انتخابات 2018). ان واقع محافظة ميسان ذات الطابع العشائري يؤكد ذلك الأمر، فقد بدأت هذه المحافظة قبل الانتخابات مبكرا بتحالفاتها السياسية على مستوى رؤساء الأفخاذ ووجهاء العشيرة، فضلاً عن بعض الوجوه السياسية السابقة التي اعتمدت على دور العشيرة في حصد أعداد كبيرة من أصوات الناخبين. وعن الكفة الأرجح يقول حسام مقداد وهو موظف حكومي: (سيشتد الصراع بين العشائر والأحزاب إلا أن كفة الميزان ستكون لصالح العشيرة). ويقول حميد البهادلي وهو طالب في الدراسة الإعدادية بأنه سيستند إلى عشيرته في اختيار من يمثله في الانتخابات المقبلة، مبينا أن تجربته الاولى كانت جيدة وقد أثمرت بفوز أحد أبناء عمومته وأن (التجربة هذه المرة ستتكرر مع الشخص نفسه، لإيفائه بوعوده مع عشيرته). فيما وجد رأي الشاب حميد معارضة عند صديقه حسام ياسين، الذي كان متحمساً للمشاركة في العملية الانتخابية والإدلاء بصوته لمن يستحقه اعتماداً على برنامجه الانتخابي وليس انتمائه العشائري. الشاب حسام وكثيرون من أقرانه يؤمنون بأن (أثبتت التجارب الانتخابية السابقة فشلاً واضحا في إدارة شؤون البلاد، وتقديم الخدمات للمواطنين، كونها بنيت على أسس طائفية وعشائرية ومن تسلم زمام الأمور لم يكن بالكفاءة والنزاهة)، ومن هنا وجب التغيير عبر منح الأصوات لمن يبتعد عن هذه الأمراض السياسية والإدارية.[12]

يؤكد السياسي العراقي المستقل، علي الموسوي، أن السباق نحو عشائر جنوب العراق بدأ مبكراً قبل الانتخابات، وأن أسرع المتسابقين كان هو نائب الرئيس نوري المالكي، الذي نظم عدة لقاءات مع قيادات العشائر الجنوبية. وتوقع الموسوي في ذلك الاستطلاع أن تتوزع أصوات عشائر الجنوب على جميع القوى السياسية الشيعية، كما استبعد ان يحصل المالكي على نفس القدر من الأصوات التي حصل عليه في الانتخابات التي أجريت في نيسان/أبريل 2014. ويؤكد عضو التيار المدني، عمر مؤيد، أن زيارات ولقاءات المسؤولين العراقيين بشيوخ العشائر لم تقتصر على المالكي، مشيراً إلى أن رئيس البرلمان سليم الجبوري يقوم هو الآخر بجولة انتخابية مبكرة زار فيها البصرة وقبل ذلك بلدة الصقلاوية في محافظة الأنبار، حيث التقى شيوخ العشائر في المحافظتين. ويضيف عمر مؤيد أن (أحزاب الإسلام السياسي العراقية اعتادت اللجوء إلى مكوناتها وعشائر أعضائها قبل الانتخابات من أجل الحصول على أكبر قدر من المكاسب).[13]

من جهة أخرى، صرحت النائب عن محافظة نينوى نورة البجاري لوكالة (عين العراق للأنباء): (ان العشائر التي قاتلت تنظيم داعش الإرهابي كان لها دور كبير في هذه الانتخابات المقبلة. وان هذه العشائر ترغب بالعملية السياسية سواء من

بوابة مجلس المحافظة او مجلس النواب.ان من حق هولاء الذين ساهموا بتحرير أراضيهم أن يشاركوا في العملة السياسية لانهم ضحوا بدمائهم من اجل مناطقهم). وكان النائب عن محافظة نينوى عبد الرحيم الشمري قد أكد في 14 حزيران/يونيو 2017، ان العشائر والشخصيات التي تصدت لتنظيم داعش الارهابي وساهمت بتحرير المناطق ستشترك في الانتخابات البرلمانية المقبلة بحجم أكبر من السابق [14].

في محافظة الأنبار، ومع بدء السباق الانتخابي في العراق وقبل بضعة أشهر من انتخابات أيار/مايو 2018، بدأت الكتل السياسية بالتثقيف لمرشيحهم مستغلين بعض شيوخ العشائر. محمود الفهداوي أحد شيوخ عشائر الأنبار أكد على قيامهم بعقد مؤتمرات عشائرية، لحث ابناء العشائر بالمشاركة بالانتخابات واختيار شخصيات كفوءة تعمل لصالح المحافظة ليس لمصلحة كتلهم السياسية. وأكد الناشط المدني في محافظة الأنبار، علي كريم، أن الخلافات السياسية في الأنبار يجب أن تنتهي، وأن الاهتمام يجب أن ينصب على كيفية التغيير، وأكد علي كريم وجود ضغط كبير مارسته القوى السياسية على شيوخ العشائر في الانبار من أجل الحصول على تعهدات للتصويت لمرشحيهم[15].

بمرور السنوات التي أعقبت الاحتلال الأمريكي، تصاعد فشل الحكومات العراقية المتعاقبة في كافة الصعد السياسية والأمنية والإقتصادية، وانتشر الفساد والمحاصصة الحزبية واقتسام مغانم السلطة بين الطبقة السياسية، كما تراجع دعم المرجعيات الدينية للأحزاب السياسية، وكثرت انتقادات تلك المرجعيات الدينية لسلوك تلك الأحزاب، كل هذه العوامل ولدت غضباً شعبياً واسعاً تجاه العملية السياسية، و رفضاً كبيراً للطبقة السياسية المتحكمة بالعملية السياسية، وأخذ هذا الغضب الشعبي ينتشر ويتزايد في الأسابيع التي سبقت تلك الانتخابات، لذلك شهدت انتخابات 2018 تغييراً ملحوظاً في وعي ومزاج الناخب العراقي، ولقد أدى هذا التغيير إلى انخفاض كبير في نسبة التصويت، وخصوصاً في مناطق وسط وجنوب العراق. فبالرغم من ان النسبة الرسمية للتصويت التي أعلنتها مفوضية الانتخابات هي 44.5٪، إلا أن الكثير من المراقبين المحايدين لهذه الانتخابات صرحوا بأن النسبة الحقيقية للتصويت لم تتجاوز الـ 20٪. وان أغلب الذين شاركوا في التصويت هم من المرتبطين تنظيمياً بالأحزاب والجهات السياسية المتنافسة في تلك الانتخابات.

تأثرت العشائر أيضاً بهذا التغيير وبهذه النظرة الجديدة للعملية السياسية في العراق. يقول الشيخ علي البرهان، شيخ عشائر (العزة) في ديالى في لقاء صحفي قبل الانتخابات حول هذا الموضوع: (إن التجربة السابقة أفرزت كثيراً من الحالات التي لا بد أن نأخذها نحن كعشائر بعين الاعتبار، يجب ان نميز بين من استغل موقعه وحتى عشيرته لصالح نفسه ومصالحه، ومن تمكن من المحافظة على العهد)، وأشار الشيخ البرهان إلى أن (العشيرة جزء من جسم المجتمع وهي تتأثر به ويتأثر بها، واليوم يعبر العراقيون عن احتجاجات واسعة من خلال المظاهرات وسواها من ظواهر الاحتجاج، وهو ما يعني وجود مشكلة لا بد من الانتباه لها، وهي مسؤولية تقع في المقام الأول على عاتق السياسيين). وأوضح الشيخ البرهان أن (ما نلاحظه الآن هو رغبة بعدم المشاركة بالانتخابات، وشيوخ العشائر لن يستطيعوا التأثير في الناخبين وتغيير قناعاتهم ودفعهم إلى المشاركة في التصويت إلا بحدود معينة). وأكد الشيخ البرهان إلى أنه (لا توجد اليوم عشيرة بمقدورها التأثير على الناخبين سلباً أو إيجاباً، لأن القناعات تغيرت بالإضافة إلى وجود قناعات مشتركة بين الشيوخ وأفراد العشيرة، بسبب أن كثيراً من السياسيين لم يؤدوا دورهم بصورة صحيحة). ورداً على سؤال بشأن مدى تأثيره على قبيلته، أكد البرهان: (إنني قادر على عشيرتي بنسبة ربما لا تتعدى 40٪ أو50٪، وهكذا هو الحال بالنسبة لكثير من شيوخ العشائر)[16].

في السياق نفسه، أكد الشيخ شياع البهادلي شيخ عشيرة (البهادل) في ميسان في حديثه، أن (التوجه الذي يحكمنا كشيوخ عشائر أو كأفراد عشائر، هو أننا لا يمكننا بعد الآن التعامل مع الوجوه التقليدية التي أثبتت فشلها خلال المرحلة الماضية، لأننا اكتشفنا أن السياسيين يخدعوننا، لذلك اتخذنا قراراً بالمقاطعة)، وأشار الشيخ شياع إلى (أننا قمنا بترشيح عدد من أبنائنا ممن نثق بهم وسوف ندعمهم طبقاً لتعهدهم بخدمة الناس، وما عدا ذلك فإن هنالك سياسيين اتصلوا بنا لغرض المجيء إلى مضايفنا، لكننا اعتذرنا عن استقبالهم لأن المفروض بالسياسيين ألا تكون صلتهم بالناس وقت الانتخابات فقط).

أما الشيخ يوسف البيضاني، شيخ عشيرة (البيضان) في ميسان، فيقول من جانبه، إن (من حق السياسي أن يتوجه إلى الناس ويعمل دعاية لنفسه، لكن العشائر من واجبها أن تعرف أين تضع ثقتها)، وبين الشيخ يوسف أن (المضيف لا يمنع أحداً من أن يزوره، لكن في النهاية لنا خياراتنا نحن أيضاً، لأننا في حال اعتبرنا الجميع غير صالحين وفاسدين، فهذا فيه ظلم كبير، لأن هناك من حاول أن يعمل وربما هناك من نجح). وأوضح الشيخ يوسف أن (شيوخ العشائر ومن خلال التجربة أصبحوا قادرين على التمييز بين من عمل أو حاول أن يعمل، ومن كان لا مبالياً أو مهتماً فقط بأموره الخاصة، ونحن ندعم الأول ولا ندعم الثاني)[17].

مما سبق نستنتج بأن أغلب الزعامات العشائرية تعاملت بحكمة مع التغيير الذي حصل في نظرة الشعب العراقي اتجاه العملية السياسية الحالية (قبل، وخلال، وبعد) انتخابات حزيران/يونيو 2018، واستطاعت الزعامات العشائرية ان تحافظ على مكانتها المتميزة في المجتمع العراقي برغم التغييرات التي طرأت. فمن جهة العشائر تفهمت واستوعبت الغضب الشعبي تجاه فساد وفشل الطبقة السياسية، وتعاملت مع هذا الغضب بإيجابية ولم تدافع عن تلك الطبقة السياسية ولم ترغم أفراد عشائرها على تغيير قناعاتهم الجديدة تجاه العملية السياسية، فالزعامات العشائرية تدرك تماماً بأن قوتها وتأثيرها يأتي من قوة وحجم

ولاء أفراد العشيرة لهذه الزعامات. ومن جهة أخرى حافظت تلك الزعامات على علاقاتها مع الطبقة السياسية المتحكمة بالعملية السياسية، واستمرت تلك الزعامات العشائرية بتقديم الدعم (الممكن) لأفراد عشائرها المشتركين بالعملية السياسية، لأن الزعامات العشائرية تعلم جيداً بأن الطبقة السياسية لا يمكنها الاستغناء عن الزعامات العشائرية، وفي الوقت نفسه فأن الزعامات العشائرية لا يمكنها الاستغناء عن علاقاتها مع الطبقة السياسية، أي ان العلاقة بين الطرفين هي علاقة مصالح مشتركة.

يعتبر موقف عشيرة (بني تميم) في محافظة البصرة خلال انتخابات أيار/مايو 2018 من الدلائل المهمة على استمرار الدور المؤثر للعشائر العربية في العراق، حيث ان هذه العشيرة تعد من أكبر العشائر في البصرة بعدد نفوسها ونفوذها وثقلها الاجتماعي. وزعيم عشيرة (بني تميم) في البصرة (الشيخ مزاحم الكنعان) قرر الترشح في هذه الانتخابات البرلمانية عن محافظة البصرة، ضمن قائمة (النصر) التي يتزعمها رئيس الوزراء حيدر العبادي، علماً أن مزاحم الكنعان هو جنرال سابق في الجيش العراقي، كما انه أول محافظ للبصرة نصبته قوات الاحتلال البريطاني بعد الغزو الأمريكي-البريطاني للعراق في نيسان/أبريل 2003. استمرت الحملة الانتخابية لمزاحم الكنعان لشهور دون مشاكل، ولكن فجأة في منتصف نيسان/أبريل 2018 وقبل الانتخابات بحوالي شهر قررت المفوضية العليا للانتخابات استبعاد مزاحم الكنعان من الترشح للانتخابات، لأن (هيئة المسائلة والعدالة) لم توافق على اشتراك الكنعان في الانتخابات بحجة ان لديه ارتباطات سابقة بحزب البعث. ولكن الكثير من المتابعين لهذه القضية يرون بأن هنالك سبباً آخر (غير معلن) لاستبعاد الكنعان عن السباق الانتخابي، هو خشية القوى السياسية الحالية من اشتراك شخصيات ذات نفوذ وتأثير وشعبية مثل الكنعان في العملية السياسية. على أثر هذا القرار خرجت عشيرة (بني تميم) والعشائر المتحالفة معها في احتجاجات واسعة في محافظة البصرة في 20 نيسان/أبريل 2018 والأيام التي تلتها. أشترك في تلك الاحتجاجات الآلاف. قدم الكنعان طعناً للقضاء حول قرار(هيئة المسائلة والعدالة) باستبعاده. وبسبب قوة الضغط الذي مارسته عشيرة (بني تميم)، قررت مفوضية الانتخابات قبل موعد الانتخابات بـ(يوم واحد) السماح لمزاحم الكنعان بالترشح، وحتى قبل أن يحسم القضاء قراره بشأن ترشح الكنعان، وفاز الكنعان في تلك الانتخابات وحصل على (13000) صوت، علماً ان معدل أصوات أغلب الذين فازوا بمقاعد برلمانية في محافظة البصرة كان حوالي (5000-7000) صوت. ولكن عندما أعلنت مفوضية الانتخابات النتائج النهائية لم يظهر أسم الكنعان ضمن الفائزين بالمقاعد البرلمانية عن محافظة البصرة، وكانت حجة المفوضية بأن القضاء لم يتخذ قراره بعد بشأن قضية ترشح الكنعان لهذه الانتخابات، فعادت عشيرة (بني تميم) الى تنظيم الاحتجاجات العشائرية في محافظة البصرة والمطالبة بإدراج أسم الكنعان ضمن الفائزين بالمقاعد البرلمانية عن البصرة، وقدم الكنعان طعناً ثانياً حول قضيته إلى لجنة القضاة الذين تم تعيينهم للأشراف على عمل مفوضية الانتخابات خلال عملية العد والفرز اليدوي لنتائج تلك الانتخابات. بعد تصاعد ضغوطات عشيرة (بني تميم) قرر القضاء ومفوضية الانتخابات في آب/أغسطس 2018 اعتبار مزاحم الكنعان فائزاً في تلك الانتخابات وعضواً في البرلمان العراقي عن محافظة البصرة.

الخاتمة:

من خلال مراجعتنا للأدوار السياسية التي أدتها العشائر العربية في العراق، قبل وبعد الغزو الأمريكي لهذا البلد، ومن خلال استشرافنا للأدوار المستقبلية للعشائر في الحياة السياسية في العراق، نتوصل إلى استنتاج رئيس مفاده أن العشائر العربية ستبقى إلى أعوام كثيرة مقبلة ركيزة مهمة من ركائز العملية السياسية في العراق، وستبقى هذه العشائر عاملاً مهماً يؤثر في تفاعلات تلك العملية. كما توصلت الدراسة إلى استنتاجات، أهمها:

1. ان العديد من العشائر العربية في العراق تحوي على فروع من المذهب السني وفروع من المذهب الشيعي، وليست هنالك فروقات بين تلك الفروع في الأعراف والتقاليد العشائرية.
2. تمكنت العشائر العربية في العراق من الاحتفاظ بمكانة متميزة ونفوذ لدى جميع السلطات التي تعاقبت على حكم العراق منذ تأسيس هذا البلد في 1921 .
3. قبل الاحتلال الأمريكي للعراق كانت العشائر العربية قريبة ومحترمة من جميع حكومات الأنظمة المتعاقبة ولكنها لم تكن تشارك في صنع القرار. بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وبسبب حاجة الأحزاب السياسية الجديدة للقواعد الشعبية، أصبحت العشائر العربية قريبة من السلطات ومشاركة بفاعلية في صنع القرار ومؤثرة في العملية السياسية.
4. بعد أن قررت فصائل الحشد الشعبي دخول الانتخابات النيابية المقبلة بقائمة منفصلة، فأن الأحزاب السياسية التي كانت تعول على استثمار سمعة وشعبية الحشد في هذه الانتخابات، لجأت إلى العشائر العربية وحاولت استقطابها، للتعويض عن الفراغ الذي حصل بسبب توحد فصائل الحشد وعدم توزعه على القوائم الانتخابية.
5. تمكن أغلب زعماء العشائر العربية من فهم الأحباط وخيبة الأمل التي أصابت الكثير من الشعب العراقي تجاه العملية السياسية وتجاه الطبقة السياسية الحالية، وتصرف أغلب زعماء العشائر خلال الانتخابات الأخيرة بحكمة، تنسجم مع الشعور العام للشعب العراقي تجاه تلك الانتخابات، دون أن يقطعوا صلاتهم بالطبقة السياسية الحالية، ودون أن يضروا بمصالحهم المتبادلة مع تلك الطبقة السياسية.

المصادر والهوامش

* القبائل العدنانية هي التي تعود بأصلها إلى جد مشترك من نسل نبي الله إسماعيل عليه السلام، أسمه (عدنان)، وهو جد العرب (المستعربة)، وهو الذي ينتمي اليه عرب الحجاز ومن حولهم، وينتمي اليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أما القبائل القحطانية فهي التي تعود بأصلها إلى جد مشترك أسمه (قحطان)، وهو أبن نبي الله هود عليه السلام، واليه ينتمي العرب (العاربة)، وأصلهم في اليمن وجنوب جزيرة العرب، والعدنانيون والقحطانيون هم أساس العرب.

** الجدول من إعداد الباحث.

(1) سيف صلاح الهيتي، (العشائر العراقية وأهميتها في المجتمع العراقي)، مقال منشور في موقع (Huffpost) في الانترنيت، على الرابط:
http://www.huffpostarabi.com/saif-salah-alheety/post_13039_b_11799748.html

(2) أحمد عبد الحافظ فواز، (التوظيف السياسي للقبيلة في العراق: من الملكية إلى ما بعد صدام)، دراسة منشورة في مجلة (المستقبل العربي)، ص 29، الدراسة متاحة في الانترنيت على الرابط:
http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/Moustaqbal%20Arabi_450_altawzif_alsiyasy.pdf

(3) ملهم الملائكة، (قبائل العراق: دور حاسم في قيام الدولة الحديثة)، تقرير منشور في موقع قناة (D W) الألمانية في الانترنيت، على الرابط: http://www.dw.com/ar

(4) الهيتي، المصدر السابق.

(5) قحطان حسين ظاهر، (دور العشيرة في تشكيل الدولة العراقية الحديثة)، دراسة منشورة في موقع (مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية) على الشبكات المتصلة (الانترنيت)، الدراسة متاحة على الرابط: http://mcsr.net/news13

(6) فواز، المصدر السابق، ص41.

(7) الملائكة، المصدر السابق.

(8) ظاهر، المصدر السابق.

(9) الهيتي، المصدر السابق.

(10) براء الشمري، (مضافات العشائر العراقية: منابر دعاية انتخابية مبكرة)، مقالة منشورة في موقع صحيفة(العربي الجديد) في الانترنيت، على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/12/26

(11) المصدر نفسه.

(12) حيدر الساعدي،(الرأي العام في ميسان: لا جديد ستحمله الانتخابات)، مقالة منشورة في موقع (أرفع صوتك) التابع لقناة الحرة الأمريكية في الانترنيت، على الرابط: https://www.irfaasawtak.com/a/414246.html

(13) الشمري، المصدر السابق.

(14) (نائبة عن نينوى: العشائر التي قاتلت داعش سيكون لها حضور كبير في الانتخابات)، مقالة منشورة على موقع وكالة (عين العراق للأنباء) في الانترنيت، على الرابط: http://aynaliraqnews.com/index.php?aa=news&id22=77795

(15) الشمري، المصدر السابق.

(16) حمزة مصطفى، (العشيرة في العراق تشعل التنافس الانتخابي)، مقال منشور في صحيفة (الشرق الأوسط)، العدد (14340)، بتاريخ 03/03/2018

(17) المصدر نفسه

ORSAM
Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

منشورات أورسام

المجلات الدورية "تحليلات الشرق الأوسط" و"دراسات الشرق الأوسط"، مجلة "تحليلات الشرق الأوسط" التي تصدر باللغة التركية كل شهرين، وهي تغطي آراء الباحثين والخبراء حول التطورات المعاصرة في الشرق الأوسط. مجلة "دراسات الشرق الأوسط"، وهي مجلة علمية محكمة مختصة بالعلاقات الدولية، تصدر بشكل نصف سنوي باللغتين التركية والإنكليزية، تقوم مجلة "دراسات الشرق الأوسط" بنشر الإسهامات البحثية للأكاديميين الذين يعدون خبراء في مجال تخصصاتهم. هنالك العديد من الأكاديميين المرموقين على المستويات المحلية والدولية ينشرون بحوثهم في مجلة "دراسات الشرق الأوسط". مجلة "دراسات الشرق الأوسط" مفهرسة من فهرس العلوم الاجتماعية التطبيقية والمخطوطات (ASSIA) ، وموقع EBSCO Host، و Index Islamicus، والببليوغرافيا الدولية للعلوم الاجتماعية (IBBS)، وملخصات العلوم السياسية في جميع أنحاء العالم (WPSA).

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
ORSAM مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

Center for Middle Eastern Studies مركز دراسات الشرق الأوسط

العنوان: أنقرة/جنقايا/ محلة "مصطفى كمال"/زقاق 2128/ بناية رقم 3
هاتف: 09 26 430 (312) 90+
فاكس: 48 39 430 (312) 90+
orsam@orsam.org.tr